الشرائط الروحية للنهوض... نحو تفعيل مفهوم التزكية النفسية في الواقع الإسلامي.

د/ زبيدة الطيب: أستاذ محاضر أ

كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

الملتقى الدولي السابع حول: الفاتح عقبة بن نافع الفهري - فقه الحضارة والتنمية الشاملة في ظل التطورات الراهنةواقع وآفاق

تنظيم: مديرية الشؤون الدينية والأوقاف -بسكرة -الجزائر

بتاريخ: 10 -11 مارس 2019.

الملخص:

هناك شروط عامة للنهوض تشترك فيها كل الأمم، وهي في الغالب شروط مادية. لكن هناك شروط هي نتاج ثقافات خاصة، وتلك الثقافات تتنوع وتتعدد حقولها بحسب البنى الفكرية التي تأسست عليها والخلفية العقدية التي أسهمت في تشكلها.

والناظر في التركيبة الثقافية للمجتمعات الإسلامية يلحظ أن ثمة مخزونا روحيا هائلا؛ يشكل جزء كبيرا من ثقافة تلك المجتمعات وفرادتها؛ ونعني بالمخزون الروحي ما له علاقة بمفهوم التزكية النفسية الذي يروم الانقطاع إلى عبادة الله تعالى وتحسين العلاقة به والتقرب منه تعالى عن طريق الإكثار من أداء الفرائض والنوافل وسائر العبادات، والتي لا تتعدى مخرجاتها العملية صقل النفس وترويضها على الصبر والتعفف والصدق والحب وغير ذلك...

غير أن تحقق هذه النفس في أرض الواقع، وإن كان قيمة إيجابية في حد ذاته، إلا أنه غير كاف لصناعة فرد أو مجتمع يعي وضعه المتخلف ويتعلق بماضيه القوي ويطمح إلى نهوض يغير مستقبله، أو هو غير كاف لنسج علاقة قوية بين التزكية كمطلب روحي والنهوض كمخرج مادي؟ وربما يعود ذلك، في اعتقادي، إلى مفهوم التزكية الذي عليه مدار الكلام والتوصيف في كتب التربية والتصوف والسلوك، والذي يمكن وصفه بالمحدود أو لِنقل العقيم والغير منتج. وهو ما يدعونا إلى طرح التساؤل الآتي: **كيف تُحقق التزكية النفسية شرط النهوض في المجتمعات الإسلامية؟**

إنها الإشكالية التي أروم الإجابة عنها في هذه الورقة البحثية؛ التي اخترت

أن يكون عنوانها: **الشرائط الروحية للنهوض... نحو تفعيل مفهوم التزكية النفسية في الواقع الإسلامي.**

SUMMARY

There are general conditions for advancement that all nations share in, and they are mostly material conditions. However, there are conditions that are the product of special cultures, and those cultures are diverse and have multiple fields according to the intellectual structures on which they were founded and the doctrinal background that contributed to their formation.

The one who looks at the cultural composition of Islamic societies notices that there is a huge spiritual reserve. constitutes a large part of the culture and uniqueness of those societies; And by spiritual stock, we mean what has to do with the concept of psychological purification, which aims to detach itself from the worship of God Almighty, improve the relationship with Him, and draw closer to Him, the Most High, by performing more obligatory and supererogatory prayers and other acts of worship, whose practical outputs do not go beyond refining the soul and taming it to patience, abstinence, honesty, love, and so on..

However, achieving this self on the ground, although it is a positive value in itself, is not sufficient to create an individual or a society that is aware of its backward situation, clings to its strong past, and aspires to a rise that changes its future, or it is not sufficient to weave a strong relationship between acclamation as a spiritual demand and advancement as a way out. material? Perhaps this is due, in my opinion, to the concept of acclamation, on which the speech revolves and is described in the books of education, mysticism and behavior, which can be described as limited or to transfer sterile and unproductive. Which prompts us

to ask the following question: **How does purification achieve the condition of advancement in Islamic societies?**

مدخل عام:

شروط النهوض: يتقاسمها طرفان أو جانبان:

أحدهما مادي: وهو الذي يسميه مالك بن نبي (العدة الدائمة) وهي الإنسان والتراب والوقت.[1] وهي شروط تشترك فيها كل الأمم والشعوب والمجتمعات؛ أي لا نتصور قيام نهضة أو حضارة في غياب الإنسان أو في غياب التراب أو الوقت.

ثانيهما ثقافي: مرتبط بالبيئة الفكرية والثقافية التي تخضع للمكونات الدينية والروحية والخلفيات الثقافية للمجتمعات والشعوب؛ والتي يصنعها العنصر الإنساني أو البشري ويحركها ويتحرك بها ومن أجلها. فالأفكار والثقافات والتفسيرات والفهوم والفلسفات إنما هي تراكمات زمانية وتاريخية من صنع الإنسان وهي ترسم وتحرك وتوجه حياته واجتماعه ونفسه ومحيطه . وعادة ما تكون تلك الأفكار والثقافات سببا في الإقلاع والنهوض كما يمكن أن تكون عاملا من العوامل المشاركة في النكوص والتراجع.

وتشكل الثقافة الروحية عند المسلمين أحد أهم العوامل الثقافية والفكرية التي يمكن التعويل عليها في توفير أحد شرائط النهوض في المجتمعات الإسلامية، ونعني في هذا المقام أحد أهم عناصر الثقافية الروحية وهو عنصر التزكية. والتزكية المراد التركيز عليها في هذا العرض هي ذلك المفهوم الواسع الذي يتعدى أو يتجاوز الشخص أو الحالة الخاصة حتى يلامس العمران والجماعة؛ فتصبح التزكية مصطلح اجتماعي في أبعاده ومضامينه ومخرجاته؛ فالمجتمعات الإسلامية لم ينقصها في يوم من الأيام أو في زمن من الأزمنة أو جيل من الأجيال العباد الصالحين ولم تخل في زمن أو جيل حتى في هذا الزمن من الصالحين الذين يعملون على تزكية الأنفس وتمحيصها والتقرب إلى الله تعالى من هذا الطريق من دون أن يحدث ذلك تغييرا على مستوى المجتمع أو من دون أن يكون وجودهم دافعا للتغيير أو النهوض أو بلوغ أي مستوى من مستويات التحضر. أو حتى تصبح التزكية أحد عناصر القيم الناظمة وهي (التوحيد- التزكية- العمران)"... فلا معنى للدين الإلهي إلا بالتوحيد– توحيد الخالق -وتزكية الإنسان في الكون،

[1] - انظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، سوريا، 1986، ص 73-137.

وعمران هذا الكون وبناء الحضارة فيه."[2]

وهذا في اعتقادي يرجع إلى ارتباط مفهوم التزكية بالفرد، وهو ما يدعو إلى البحث في أصل الكلمة في اللغة بغرض القبض على ما يمكن الاستئناس به من أجل توسيع مفهوم اللفظة أو المصطلح والانتقال بمفهوم التزكية من التزكية بالعبادة الذاتية إلى الفعل الحضاري والشهود الحضاري بتعبير الأستاذ عبد المجيد النجار.

التزكية في اللغة:

التزكية في اللغة مصدر للفعل زكَّى، وهي من جانب الفلسفة والتصوّف تعني تطهير النفس بالانقطاع عن العلاقات المتعلّقة بالبدن، فيقال: زكّى فلان نفسه؛ أي مدحها، وأصلحها، ونسب إليها الطهر من الذنوب بفعل بالأعمال الصالحة،[١] أمّا تزكية النفس اصطلاحاً فهي تطهيرها وتنقيتها من الصفات المذمومة والقبيحة، والسعي على تكميلها وتجميلها بالأعمال الصالحة، وتعظيم الله تعالى.[3] (توثيق)

كيفية تزكية النفس:

تتحقق تزكية النفس بقيام العبد بجملة من الأعمال يذكرها أصحاب تصانيف التصوف والسلوك منها: -**التوبة والإنابة والرجوع إلى الله تعالى:** يدل عليها قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّـهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ).[٦] والتوبة هي أول خطوة في طريق التحلية، وهي المسماة بالتخلية عند القوم.

-**المداومة والاستمرار على الاستغفار وعلى ذكر الله تعالى:** يدل عليها قوله تعالى: (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ).[٧] والاستغفار كما هو معلوم يدل على مخالفة النفس، وإنكار الأعمال التي تقوم بها، وإنكار ما عليه من القبائح والرذائل، والعمل على عدم تلبية ما تسعى إلى تحقيقه، فالنفس مائلة إلى الراحة؛ يقول الإمام الغزالي أبو حامد: (إعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، وقد خلقت أمارة بالسوء مبالغة في الشر فرارة من الخير، وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها، فإن أهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك).

-**توبيخ النفس وتقريعها:** بغرض الوصول بها إلى الطاعة، وفي هذا يقول الغزالي أيضاً: (إن لازمت نفسك بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها ورجوت أن تصير النفس المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل

---

[2] - فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم العليا: التوحيد والتزكية والعمران. ط. 1. فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2013، ص 183.

[3] / توثيق

في زمرة عباد الله راضية مرضية). المداومة على وعظ النفس وتذكيرها بالموت وبالدار الآخرة، فقد خاطب الغزالي النفس قائلاً: (ويحك يا نفس لا ينبغي أن تغرك الحياة الدنيا ولا يغرك بالله الغرور، فانظري لنفسك فما أمرك بمهم لغيرك، ولا تضيعي أوقاتك، فالأنفاس معدودة).

-**الظن السيئ بالنفس:** والحرص على عدم اغترارها بالأعمال الصالحة، والحرص أيضاً على عدم إحسان الظن بالنفس الذي يمنع من كمال التفتيش فيها، وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله: (على السالك أن لا يرضى بطاعته لله، وألا يحسن ظنه بنفسه).

-**الإخلاص في الأعمال:** وتنقيتها من الرياء ومن حظ النفس، فتنقية العمل من الشوائب هي الأساس للإخلاص فيه، كما بيّن ابن القيم رحمه الله، فالعمل يجب أن يكون خالياً من حب التزيّن لقلوب الناس، أو طلب المدح منهم والهرب من الذم والقدح، وكذلك يجب الحرص على الابتعاد عن السعي في تعظيم الناس أو أموالهم، أو محبتهم، أي أن العمل يجب أن يكون متميزاً بإظهار حق الله فيه دون حظ النفس.

-**محاسبة النفس:** حيث قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّـهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّـهَ).[٨]

-**عدم الإكثار من النوم والكلام والأكل:** حيث إن كثرة الكلام في غير ذكر الله من الأسباب التي تؤدي إلى قسوة القلب التي تؤدي بدورها إلى البعد عن الله تعالى، كما أنّ الإكثار من الأكل يؤدي إلى قوة نوازع الشهوات، والإكثار من النوم يسبّب الكسل والعجز.

وقد ذكر القوم الكثير من الفوائد التي والثمرات التي تعود على النفس من وراء سلوك طريق التزكية، من ذلك: --- إن في ذلك تمثل للعديد من الآيات التي تحث على تزكية النفس، منها قول الله تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا)،[١٠] فالله تعالى أقسم بالنفس إشارة منها إلى أهميتها وعظم مكانتها.

-إن تزكية النفس تعدّ غاية من الغايات التي أرسل بها النبي صلى الله عليه وسلم، ثمّ كانت فيما بعد مهمة الدعاة والمرشدين.

-تحقيق صلاح الجسد بصلاح القلب. النجاة يوم القيامة، والسعادة في الدار الآخرة. "بمعنى أنه لا يوصف بالتزكية إلا من سار أشواطا في تطهير نفسه من الرذائل، ثم تحقق بداخله الطاهر فعلا، نماءٌ بالخير والطاعات."[4]

[4] /http://almahajjafes.net/2017/03

إن الناظر في تلك الغايات والأهداف لا شك أنه سيعثر على فوائد وأهمية كبيرة للتزكية النفسية ينالها الفرد أو الشخص على مستواه الذاتي والشخصي فهو من يستفيد من نقاوة القلب والسريرة وهو من سيشفى من الأمراض وهو من سينال سعادة الدارين، وهنا يمكن أن يطرح السؤال: ماذا بعد أن يفني الشخص ذاته في تزكية نفسه من دون أن تلامس نفسه الزكية وآثارها الطيبة المجتمع؟ أو من دون تتعدى تزكية النفس إلى فعل حضاري أو شهود حضاري يخترق الاجتماع والاقتصاد والثقافة والسياسة والفكر ليصنع من التزكية طريقا نحو الشهود والنهوض.

فتزكية النفس، بما تتضمنه من معاني النقاوة ومغالبة النفس والإخلاص وطلب رضى الله تعالى وتجاوز رغبات ومطالب النفس الدنيوية هي تستبطن عناصر تحويلية قادرة على صناعة الفرد الصالح و المواطن الصالح والمجتمع الصالح الذي يقع عليه رهان النهوض؛ بمعنى أننا نهدف إلى جعل من يوصف بالتزكية هو من سار أشواطا في تطهير نفسه من الرذائل، ثم تحقق بداخله الطاهر فعلا، نماءٌ بالخير والطاعات، ثم تحققت مخرجات النفس الزكية الطاهرة في الواقع في شكل عطاءات وشرائط الاستخلاف من العلم والعمل والوعي وغيرها... تلامس المجتمع والبيئة والكون.

تزكية النفس وعلاقتها بعمارة الأرض ونهوض المجتمع في القرآن الكريم:

تعريف العمارة:

لغة: العمارة من عمر الشيء, و استعمره أي جعله يعمر, و العمارة نقيض الخراب و الهدم و الدمار.

واصطلاحا: التصرف في الأرض بما سخره الله لنا فيها وفق منهج الشرع، لأجل استصلاح أحوالها المادية والمعنوية تحقيقا للحياة لطيبة ومرضاة لله سبحانه

علاقة التزكية بالعمارة:

إذا تأمل القارئ معاني ومضامين التزكية التي عرضنا إليها من قبل، وربطناها بمفهوم العمارة ثم أجلنا النظر في بعض آيات القرآن التي يظهر فيها بعض الأنبياء قادة للنهوض بالمجتمع ومحاربة الفقر وإقامة العدل ومن ثمة توفير شرائط للنهضة، وجدنا أن سيدنا يوسف عليه السلام يمثل نموذجا؛ حيث استطاع أن ينقل المجتمع المصري من حال الفقر إلى حال الغنى وأن يحدث في الدولة وأركانها ثورة ضد الفساد والفقر.

وقد جاء في قولته تعالى على لسان يوسف ثلاث نصوص تظهر فيها آثار وثمار النفس الزكية التي يقع عليها التعويل في إقامة نهوض، وأن النهوض لا

يحدث بنفوس عديمة الأمانة والإخلاص والكفاءة، نفوس ظالمة قال تعالى: **(قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55)**

وقال : (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ) الآية 47

وقال: (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين)

النفس الزكية تعني المسلم الذي يعي مهمة ووظيفة الاستخلاف والعمارة؛ فالاستخلاف له شروطه والعمارة لها مقتضايتها التي توفرها النفس الزكية.

المحور الأول: مبدأ الاستخلاف أساس عمارة الأرض.

1 مفهوم الاستخلاف و عمارة الأرض

ـ عمارة الأرض

لغة: العمارة من عمر الشيء, و استعمره أي جعله يعمر, و العمارة نقيض الخراب و الهدم و الدمار.

واصطلاحا: التصرف في الأرض بما سخره الله لنا فيها وفق منهج الشرع، لأجل استصلاح أحوالها المادية والمعنوية تحقيقا للحياة لطيبة ومرضاة لله سبحانه.

ـ مبدأ الاستخلاف:

لغة: الاستخلاف لغة من الخلافة و هي التعاقب والنيابة والتداول.

واصطلاحا: إنابة الإنسان وتوكيله عن الله تعالى في الأرض لعمارتها ولتنفيذ مراده سبحانه وتحقيق مشيئته وإجراء أحكامه، تشريفا له وتعظيما لقدره .

2 ـ مبدأ الاستخلاف أساس عمارة الأرض

الاستخلاف مهمة وأمانة اختارها الله عزوجل للإنسان فقال سبحانه:**(إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون)** فيقتضي لقيام بمهمة الخلافة على أكمل وجه عمارة الأرض بالطاعات والخيرات عن طريق استغلال ما سخره الله لنا من نعم في السماوات والأرض قال تعالى:**(ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة)**سورة لقمان: 20. **فالاستخلاف أساس العمارة والتسخير أساس الاستخلاف.**

المحور الثاني : النهي عن الإفساد في الأرض.

الإفساد في الأرض ضد عمارتها وهو تخريبها والاعتداء عليها بانتهاك الدين أو العرض أو العقل أو ما يتصرف فيه الإنسان من الخيرات كالمال والبيئة وكل ما

خلق الله

وقد نهى الإسلام عن الإفساد في الأرض قال عز وجل:**(ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها)** حيث اعتبر الفساد شرا وبلاءا يترتب عنه دمار و خراب و من أنواعه: الشرك وهو أعظم أنواع الفساد في الأرض, ارتكاب الفواحش، قتل النفس التي حرم الله, زرع التفرقة والعنصرية، سوء استغلال الموارد الاقتصادية والموارد الطبيعية، وسوء استعمال وسائل الإعلام...

وقد يكون مع الإفساد في الأرض عمران مادي هائل فلا عبرة به كما قال تعالى:(أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الروم: 9. فقد بنى الفراعنة الأهرامات وبنى عاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد... لكن الله دمرهم جميعا لطغيانهم وكفرهم.

المحور الثالث: علاقة الإيمان بعمارة الأرض (واجب المؤمن عمارة الأرض وإصلاحها)

إن واجب المؤمن أن يحقق مبدأ الاستخلاف وفاء بالأمانة التي تحملها وهي عمارة الأرض بالخيرات والأعمال الصالحات إذ الإيمان الصادق لا ينتج إلا العمل الصالح قال تعالى:**(الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة واتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور)** سورة الحج : 39، وقال تعالى:**(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون)** الأنبياء : 104.فتزكية المال أي أن تجمع مالا حتى إذا ما توافرت فيه شروط معينة تعطيه إلى الآخر أي أن التزكية النفسية الجوانية أثمرت نتيجة وأثرا برانيا وخارجيا؛ فلم تعد التزكية بهذا المعنى مجرد تخلية وتحلية وتجلية بقدر ما هي تجلية يتجلى فيها الفعل والأثر ليلامس المجتمع ويسهم في تحولاته وترقيته.

إن الناظر في تلك المفاهيم التي أعطيت للتصوف أو كما مارسها كبار الصوفية أو دعوا إليها يلحظ أنها قد ترسخت كمفهوم يعنى به الإنسان على مستواه الشخصي أو مصطلح أو دربة يربي بها الإنسان نفسه فيكون صادقا في قربه من الله عز وجل ومخلصا في تعلقه به فتصفو نفسه فيحصل له بها ما يترقى به من درجات الكمال وبلوغ الحضرة الإلهية فتتحقق له متعة الدار الدنيا ويترجى بها متعة الآخرة.

إن التزكية بهذا المعنى لا شك أنها مفهوم راق يحقق للشخص على المستوى النفسي راحة نفسية، لكن ما الذي يجنيه المجتمع والشعوب من صلاح فرد واحد في الوقت الذي لا يتعدى صلاحه نفسه .

ألا يجدر البحث في مفهوم للتزكية يتعدى التربية الذاتية ليشمل تزكية تعمل على توفير شرائط التنمية والإقلاع الحضاري ؟ ألا يصلح البحث في مفهوم للتزكية النفسية يتماهى أو يتقاطع مع مفهوم المواطنة كشرط للنهوض والتنمية؟

التزكية وعلاقتها بمفهوم المواطنة: وإن مكان مفهوم المواطنة مفهوما غربيا تعود جذوره إلى اليونانيين إلا أنه اشتد ونما في أعقاب الثورة الفرنسية ثم تطور في ظل العولمة والنموذج الذي يسيطر على العالم، فهي بهذا المعنى تختلف من حقبة زمنية إلى أخرى وتخضع للتغيرات الثقافية والفكرية التي تفرضها التغيرات السياسية وموازين القوى في العالم.

غير أن النقطة التي تجمع بينها في كل الحقب التاريخية ومع تلك التغيرات هو المساواة أم القانون وتجاوز الإثنيات داخل المجتمع الواحد والولاء للوطن وحده وذلك بهدف الحد من الفتن والحروب والاقتتال على الهوية الفردية للشخص أو الطائفة أو الجماعة.

وهي بهذا المعنى ليست بعيدة ليست بعيدة عن المفاهيم والمبادئ العامة التي تعد في الإسلام ركائز الرسالة الإسلامية؛ فالأسلام جاء بمبدأ المساواة فقال الله تعالى في القرآن الكريم: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» [الحجرات: 13] فقد صرح القرآن الكريم بأن معيار التفاضل بين البشر ليس اللون ولا الجنس ولا الطائفة ولا المذهب وإنما هو التقوى. كما جاء في السنة النبوية الشريفة قوله عليه الصلاة والسلام: [**إنَّ الله لا ينْظُرُ إلى أجْسَامِكُمْ، ولا إلى صُوَرِكمْ، وَلَكن ينْظُرُ إلى قُلُوبِكمْ وأعمالكم]** وهو صريح أيضا في أن معيار التفاضل ليس الصور الخارجية والمظاهر سواء كانت خلقية أو اجتماعية بل هو التقوى والعمل الصالح وبالتالي فإن الله لا ينظر إليها لأنها ليست معتبرة ولا دخل لها في إصلاح شأن أو غيقاظ أمة. كما جاء التصريح في حجو الوداع أن البشرية كلها تتساوى أمام الله عز وجل لأن تجتمع في الأصل الخلقي فقال عليه الصلاة والسلام[كلكم لآدم وآدم من تراب] وهو تصريح يضرب مسألة التفاضل العرقي ودعاوى الفوقية في العمق. وهي الدعاوى التي باتت تفسد على البشرية استقرارها وتفسد على المجتمعات هدوءها وسلامها وأمنها.

إن التفاضل العرقي والطائفي والجهوي داخل المجتمعات الإسلامية يعد من أكثر العقبات والعراقيل التي تقف في سبيل التنمية والنهوض ولذلك نعتقد أن المواطنة التي ولدت في الغرب كمفهوم يتجاوز التفاضل بالدين والعرق والجنس وتعنى المساواة أمام القانون هي من أهم شروط النهوض في المجتمعات العربية. وهذه المواطنة أو الإيمان بالمساواة الكاملة أمام الله تعالى وأمام القوانين الوضعية التي

لا تتعارض مع الشريعة ومع مصالح الأمة لا تتطور ولا تنمو إلا في ظلال التزكية التي يأمر بها الدين الإسلامي والتي نجدها في التراث الإسلامي بادية في الفكر الصوفي الذي يشتغل على تنقية الروح ومحاربة شهوات النفس التي هي أساس التغيير والنهوض. قال تعالى: « إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بأنفسهم.» [الرعد:11] وهي الأية التي تعني بشكل أو بآخر علاقة الوجداني بالاجتماعي وتأثير الوجداني في الاجتماعي والفكري والسياسي والحضاري عموما.

خاتمة:

1/ إننا لا نهدف إلى التشويش على التصوف أو سلبه هويته بقدر ما نهدف إلى استثمار مضامينه الإيجابية وتطويرها بالشكل الذي يصبح فيه التصوف خبرة اجتماعية تمتد وتستوعب الجميع ولا يبقى تربية فردية أو تزكية شخصية

2/ إننا نريد ألا يرتفع الشخص وحده إلى مرضاة الله تعالى بل يرفع قومه وأمته ومجتمعه معه إلى مصاف الدول والمجتمعات والشعوب ذات السيادة.

3/ إن النهوض لا يتحقق بجهود فرد واحد مهما علا كعبه في هذا المجال أو ذاك، بل يحققه حضور المجتمع وفعاليته وشهوده.